على السفود

وللسفود نارٌ لو تلقّتْ بجاحِمها حديداً ظنَّ شحْما
ويَشْوى الصخرَ يَتْرُكُهُ رَمَادًا فكيف وقد رميتُكَ فيه لحْما ؟

يظهر أن الامور منقلبة على أعقابها وأن النهار المملوء من نور الشمس لاتكفى الشمس نفسها فى الدلالة عليه أحياناً ولن يكون نهاراً لا بالشمس طالعة ولا بالأعين ناظرة ولا بشهادة مراصد أمريكا ولا بساعة جرينوتش فى انجلترا ! ! !

فقد عاد الشيخ عبد الله عفيفى يقول الشعر ولو أنه نظم مثلا

وقال عفيفى حامداً ومصلياً وصل عفيفى بعد حمد وبسمله
والف هذا النظم فى النحو باقى بتسعة أبواب تليهن تكمله

لو قال الرجل مثل هذا ونشر مثل هذا واقتصر على مثل هذا لاحسن من وجوه كثيرة وقيل جاوز مالا يستطيع الى مايستطيع وكانت هذه وحدها فضيلة تعد له وثوابه عليها ثواب الصبر وفيها على كل حال فائدة . تسعة أبواب وتكملة !!! .

أما وهو يعلم حق العلم أنه ليس بشاعر وأن الشاعر لا يخلق على الكبر وأنه لا يذكر حتى ولا مع الشيخ شهاب أو الدرويش أو الليثي أو أبي النصر ولا يفلح شاعراً حتى ولا لأيام الجبرتي ، ثم هو مع ذلك ومع ما بينا له في شعره وصناعته وما بصرناه من أمر نفسه ، ومع أنه غير نائم بل مستيقظ ولاهرم بل شاب ، ومع أنه يرى بعينيه حضارة العصر وينظر في نتيجة الحكومة أنها سنة ١٩٣٠ ويقرأ لشعراء مصر وغيرهم من شعراء الاقطار الأخرى ويعلم أن أدباء هذا الزمن بين قارىء لشكسبير وشلي وبيرون وهيجو ولامرتين وموسيه وغوت وشلر ودانتي ودانونزيو وأمثالهم وبين قارىء بشار ومنصور ومسلم وأبي تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي والرضي والمعري وطبقتهم . مع كل هذا لا يتوب عن الشعر ثم لا ينظم شعره إلا في أعلى وأسمى المعاني التي يضطرب من جلالها قلم التاريخ وتحار عندها القرائح الجبارة والتي هي بالطبيعة مبعث الابتكار ومثار الجلال الادبي ومادة الخلق الجديد في الفن البياني لانها ذات جلالة مولانا الملك فؤاد سيد العصر في كل شيء بلا السيادة . لو لم تكن الامور منقلبة على أعقابها ولو في نظر الشيخ عفيفي وحده لما بلغت به الجرأة أن يجني هذه الجنايات الادبية كلها ، فهو مكلف أن يأتي بشعر لا أقل من أن يقال في وصفه إنه لا يقل عن أشعار من ذكرناهم وإلا فشعره جريمة يجب أن يؤاخذ عليها لانه يفضح به مصر وأدبها ويعطي منه للادباء مادة في الفن والصناعة لا يليق أبدا إلا أن تكون مادة إجلال وإعظام . فان جعلها غير ذلك بسخافة شعره وضيق فكره وسقم ذوقه وبلادة خياله فهي الجريمة الأدبية بكل معانيها إذ ليس عليه اضطرار أن يحمل مائتي كيلو جرام اذا كانت قوة ذراعيه لا تحمل إلا ثلاثين أو أربعين فان وضع نفسه تحت المائتين عمداً وتحطم خطأ !!! فما هو بخطأ بل هي جناية على نفسه جناها

لا يمكن أن يكون مثل الشيخ عفيفي مغرورا الى هذا الحد فهو على كل حال أديب يميز طبقات الكلام ويعرف أن مائة قصيدة من مثل شعره لا تذكر مع بيت واحد من احسان المتنبي مثلا ويدرك حق الادراك أن أدباء مصر مشمئزون كل الاشمئزاز من صناعة شعره هذا وأن قصائده أصبحت فضيحة بينهم وأنه انما يجسم هذه الفضيحة

بنشرها فى صدر الاهرام بالحرف الكبير . فما هو السر الذى يحمله على الشعر أى التشهير بنفسه ؟

نعم أنه يذكر من ناحية أنه يظهر اخلاصه ولكنه كذلك أفسد هذا الاخلاص فى هذا الشعر ، فمثله مثل من يحمله حب الصورة الفنية النادرة على أن يصورها وهو ضعيف فى التصوير ، فحب واخلاصه للجمال اخلاص ولكن الألوان فى هذه الحالة ماهي الا إساآت حمراء وصفراء و زرقاء ومن كل لون . . . .

واذا رأى الغراب بلبلا يغنى فغنى !!! أفيسىء الى الغناء ام يحسن ؟ وهل يقوم فى ذلك عذر رغبته بحريمة صوته ؟ وهل من الضرورى ياسى غراب أن تتبلبل . . . .

ولكن يقال إنه مع معرفة الشيخ عفيفى بكل ماتقدم فهو مؤمل ان يكون نشر الاهرام لقصائده فى صدرها بالحرف الكبير المشكول اعلانا منها بجمال الشعر واقراراً باستحقاقه التقديم وشهادة للامة كلها بانه لاسيف الا ذو الفقار ولا شاعر الا . . .الشعرور . غير ان الاهرام فطنت أخيراً الى هذا ورئيس تحريرها الذى هو من كبار الادباء يعرف كيف يتكلم بعمله أفصح وأبين مما يتكلم بلسانه أو يكتب بقلمه فنشر القصيدة الأخيرة التى نظمها الشعرور فى عيد ميلاد سمو الأمير فاروق ثم اصبح فى اليوم التالى ناشراً فى صدر الاهرام « لفليب نجيب صوايا » مايأتى بحروفه

نشيد «عاش فاروق»

عاش فاروق ولى عهدنا عاش فاروق المفتدى
فاروق محط آمالنا فاروق نور المهتدى
رب السما يحفظه لنا على الدوام على الدوام

* * *

ليس فى الدنيا مثاله هو عنوان الفخار
الامة ملتفة حوله ناثرة له الازهار
ياربنا زيد فى دلاله على الدوام على الدوام

* * *

ابن العلا بدر منير قد انار الامما

محي الامال غصن نضير نال رضا الحـــكما
رب الجمال ماله نظير على الدوام على الدوام

* * *

كلنـــا فدية للوطن بظل مـــولانا فؤاد
حامى الشرائع والسنن ملك البـــلاد والعباد
رب التواضع والمنن على الدوام على الدوام

* * *

عاش زهرة الانام عاش بالعز والدلال
عهده عهد الوئام سعده مدى الاجيال
فخر الوطن الى الامام على الدوام على الدوام

ها أنت ذا أيها القارىء أمام شعر عربى من بحر البر ... على وزن بفته هندى الضرب فيليب والعروض صواياً ...

ولكنك أيضا من هذا الهراء الشعرى أمام بلاغة سياسية فى منتهى السمو هى اعلان الاهرام بهذا النشر انه نشر لا غير وأن صوايا وعفيفى عندها سواء وأنها لا تشهد بشىء ولا تقدر شيئاً وانه لايجوز لأحد أن يقول شعر عفيفى كيت وكيت لان الاهرام نشرته إلا وجب عليه وجوبا أن يقول ومثله شعر فيليب صوايا ...

نحن علم الله لا نعرف الشيخ عفيفى هذا وليس بنا منه ولا من شعره ولكنها أمانة العلم وميثاقه الذى يقول الله فيه « لتبينه للناس ولا تكتمونه » ثم المحافظة على سمعة الأدب فى مصر وهى اليوم قبلة العالم العربى . ولو لم يكن عفيفى يصيغ شعره بصيغة الديوان العالى الملكى ما بالينا سكت أو نطق لان امثاله كثير فى مصر بل فى مصر نفسها تاجر كبير فى اسكندرية كان ذات مرة فى مجلسه بعض العلماء فاراد التاجر أن يظهر فى مظهر علمى فلم تكد تعرض الفرصة له حتى انتهزها واحتج بقوله : إزاى يامولانا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أردب ما هو لك ما تحضر كيله ...

. . .

قصيدة الشيخ عفيفى الاخيرة نظمها فى عيد ميلاد الأمل الناشىء المبارك سمو الامير فاروق حرسه الله وأقر به عين والده العظيم وجعله من أبيه كالضحى من الصبح معنيين فى نور واحد . وعنوان القصيدة « عيد الشباب » وهو عنوان جميل ولكن بحث فى القصيدة عن فلسفة الشباب وتأثيره وجماله ، والصلة بين شباب سمو الامير

والنشء المصرى الجديد والآمال المرجوة منهما لمصر وتاريخها ، وما تغـــذى به عواطف الشعب من جمال ولى عهده وشبابه واجتلاء سحر الطبيعة المصرية الفتية فى طلعته الوضيئة الفاتنة ، والوحى للامة بمعانى التفاؤل والنمو ومرح الحياة ونضرتها الخ . الخ . فلن تجد فى القصيدة من هذا شيئاً لانها خارجة من قريحة ناضبة بل هى فى كونها ليست أكثر من سخافات لفظية تحسبها خارجة من قاموس لا من قريحة.

من شر عيوب هذا الشعر ورانه ضعيف الملكة اللغوية جداً وهو مع ذلك رجل لغة ، ومتى اجتمع هذان اجتمع منهما عيب يفسد الأدب شعره ونثره . ذلك بان ضعف الملكة اللغوية إنما هو ضعف القدرة على ابداع التراكيب البيانية العالية من الالفاظ وكون الاديب رجل لغة إنما هو فى حفظ جملة الالفاظ والقدرة على استعمالها فقط دون بلاغة الاستعمال والابداع فيه ، فاذا اجتمع هذا وذاك وأضطر صاحبهما الى عمل أدبى . رأيته يراكم الالفاظ بعضها على بعض فى مجازات حمقاء واستعارات مجنونة يبرأ منها البيان وان كانت تقرها اللغة . أى هي من جهة اللغة صحيحة نقلا وعربية ولـكنها من جهة البلاغة هذيان وسخف فكأنها الفاظ فى قاموس لا فى قريحة اذ فيها عمل القاموس كاملا مستقيما وأما عمل القريحة فناقص مشوه .

وهذه الطريقة هي التي سقطت بالأدب العربى فى العصور المتأخرة وجعلته ابرد وأسخف آداب الامم كافة وكان النوابغ الأفذاذ يغطون عيوبها بالنـكت البيانية التي لابأس بها والتى هى فى الحقيقة مساحيق على وجه عجوز فى سن الثمانين أو التسعين ولـكن غير هؤلاء ممن لم يرزقوا ملـكة النـكتة كانوا يصنعون تماما كما يصنع محرر الديوان الملـكى الآن فليس لهم إلا سرقة بعض المعانى ومحاولات فى المجازات والاستعارات تجيء كما تجيء خلطاً وخبطاً ولبطاً . ومنها فى قصيدة الشيخ عفيفى تسام شهابا . سليل الدوحة ! ! يزهى المجد . نظمت العشر . نسقت الامانى . أرخ عناية الرحمن سترا . وحك من عزمة الفتيان درعاً !! تضيء سماحة . تطيب نبلا . وهكذا هكذا

ان كل تلميذ فى المدارس يقدر على مثل هذا واحسن منه وماهو بلغة فى اللغة ولا شعر فى الشعراء إن هو إلا تركيب مجرد طوبة على طوبة . فتصور كوخا يبنى بهذه الطريقة ثم ارتق قليلا وتصور ربيتاً ثم ارتق وتصور « المحرر العربى لديوان جلالة الملك » يبنى قصراً بطريقة طوبة على طوبة ويزعمه قصراً فخماً

أعرفت الآن انها أمور مضحكة أو أمور منقلبة على أعقابها وان من واجب الديوان العالى الملـكى أن يظهر غيرة على أدب الأمة فان لم ينعم على الأدب بشاعر

كالمتنبي فليحم من شعرور كمحرره العربي

اما نحن فسنمضي في نقد هذا الشعرور لانه اصبح من أقوى حجج المجددين الطاعنين على اللغة العربية وأدبها وشعرها فهم يقولون هذا هو قديمكم ليس فيه إلا وحك درعاً وطرزيابا !! ولمن يقال هذا ؟ للجمال الشعري المتجسم في طلعة كطلعة الملائكة ولمستقبل الأمة الذي ينمو في صورة بشرية سامية وللأمير فاروق .

يقولون هذا هو قديمكم في الحياة فدعوا الحياة تحكم لكم أو عليكم نعم دعوا الحياة تحكم ولكن بعد أن نخرج من محكمتها ماهو مزور علينا و بعد أن نعلن للجميع إن مثل هذا الشعر إنما هو في الهندسة البيانية أسلوب طوبة على طوبة لاغير . وان من رجال الأدب العربي من لو فرغ للأدب والعمل فيه لغطى على كثير من فحول أوربا ولكن من نكد الدنيا ان مصر حتى في كنوز الأدب تحتاج الى (مكتشفين) كأن كل بديع فيها عليه سر من أسرار الموت

* * *

نظم الشيخ عفيفي قصيدته مقلداً فيها قصيدة شوقي في المولد النبوي الشريف واحسن بيت في قصيدة شوقي قوله يصف ولادة النبي صلى الله عليه وسلم .

لقد وضعته وهاجا منيرا كما تلد السماوات الشهابا

وبعده : فقام على سماء البيت نورا يضيء جبال مكة والنقابا

ومن هنا بدأ الشيخ عفيفي قصيدته بقوله :

تسام بأفقها الأعلى شهابا وأشرق واملأ الدنيا شبابا

هذا بجانب شوقي شعر مخجل مع أنه مأخوذ منه كما ترى ، وهنا الغفلة العجيبة من الشعرور تدل على انه شعرور واكثر . . .

شوقي يشبه وضع النبي صلى الله عليه وسلم من أمه الكريمة بأنفصال الشهاب من السماء والشهاب هو الشعلة النجمية العارضة في الجو منقضة فهي منفصلة منيرة ساطعة ماضية قوية رهيبة فالتشبيه محكم منطبق . ولكن عفيفي عكس الطبيعة وجعل الشهاب يصعد . . . وهو مستحيل إلا اذا كان شهابا كالذي يطلق في الالعاب النارية !!! وهذا مما تشمئز منه النفس وجعله مطلع تهنئة سمو الامير مما يزيد في فظاعته .

ثم غفلة أخرى أقبح من هذه فان الشهاب النجمي لا يكون إلا في ظلام كما هو طبيعي وذلك بديع في بيت شوقي لأن العرب كانوا في ظلام الجاهلية فولد النبي صلى الله عليه وسلم نورا واخرجهم الله به من الظلمات الى النور ولهذا لايذكر الشعراء

الشهاب إلا ذكروا الظلمة كقول البحترى: وأضاء فى ظلم الخطوب شهاب . وقول الرضى:

لك الهمم التى عرف الاعادى تشب بكل مظلمة شهابا

وقوله : بيبت وثوب الدجى شاحب طموح المعالم (سامى الشهاب)

ومن (سامى الشهاب) سرق عفيفى قوله (تسام شهابا) وهي غفلة ثالثة لأن الشهاب فى موضعه من السماء يعتبر عاليا ففيه صفة العلو والسمو وهو ثابت على كل حال الى أن ينقض . أما (التسامى) فكلمة تشعر بالتحرك صعودا وذلك محال فى الشهاب كما مر . ففى كلمة الشعرور ثلاثة عيوب : سرقة وخطأ وإحالة. واذا كان الشهاب لايكون ولا يتصور ولا يذكر إلا مع الظلام فلا تجد ذوقا أشد فسادا من ذوق هذا الشعرور

فى القصيدة التى انتقدناها له فى السفود الثانى كان المطلع (نوح الحمام) وهى تهنئة فى عيد ميلاد . وفى قصيدة تهنئة عيد الاضحى التى انتقدناها فى السفود الثالث كان فى أولها كفر ، وفى قصيدة ثالثة (عفونا عنها) ولم ننتقدها ليتوب عن الشعر وهى تهنئة أولها

دارة الملك اسلمى ثم اسلمى

كان هذا المطلع مذكراً بقول ذى الرمة :

ألا يا اسلمى يادار مى (على البلى) ...

وفى هذه القصيدة الاخيرة المطلع ظلام بدليل ذكر الشهاب اذ لايتصور هذا إلا فى ذاك . أما فى الشعر إلا السرقة والغفلة وفساد الذوق ؟

و يقول شوقى بعد البيتين :

وضاعت يثرب الفيحاء مسكا وفاح القاع أرجاء وطابا

وهو كلام فقط ولاقيمة له فقلده عفيفى وقال بعد المطلع :

سليل الدوحة الزهراء عمت بك الارجاء حسناً وارتغاباً

فشوقى جعل الارجاء تفوح مسكا والشعرور جعل الارجاء تعم حسنا ! وتعم (كمان) ارتغابا . . ارتغاباً يعنى ايه ؟ يقول القاموس ارتغب فى الشىء كرغب أراده فاذن عمت الارجاء حسناً وارادة . . . واذا كان الحسن يشبه بالنور فيصح لذلك أن يعم الارجاء أى الامكنة فبأى شىء تشبه الارادة حتى تعم الامكنة وهى لاتعم إلا الناس بخلاف النور فهو يملأ الامكنة لا الناس ؟

نعم أن الخلط جائز وبابه واسع جداً حتى قالوا سمك لبن تمر هندى . . فعلى هذا فليؤول بيت الشيخ رضى الله عنه . ولا معنى لوصف الدوحة بالزهراء والدوحة فى

الاصل الشجرة العظيمة شبهت بها الاسرة الكبيرة فى عظمها وتفرعها وخروجها بأكلها من جذع واحد هو الجد الأعلى وقد جاءت هذه التسمية فى كلام المتأخرين من أنهم يرسمون نسب الاسرة فى صورة شجرة يسمونها شجرة النسب . والزهراء المرأة المشرقة الوجه وهذه المادة على كل حال لاتستعمل إلا فى البياض واشراقه وتلألئه فيقال القمر الازهر وامرأة زهراء وسحابة زهراء وهكذا . ولكن الشعرور كما قلنا رجل ألفاظ من هندسة طوبة على طوبة فان بحثت فى كلامه عن دقة أوفكر أوفن فانما تبحث عن عيوبه لاعن محاسنه . . .

ثم يقول :

يجمل عيدك الوطن المفدى ويزهى المجد والكرم اللبابا
أعز مواسم الدنيا عليها وأسعدها وأحمدها مآبا

لهذا الشعرور طريقة فى المبالغة الممقوتة ناشئة من طريقته فى ركم الالفاظ بلافكر ولاتميز ولافن لان المبالغة السمجة صورة من شرود الفكر وذهوله وكونه لايجد ماينظمه ولا مايحكمه أعنى أنه لايجد المادة التى يخلق منها كما يجد فى أدمغة العبقريين والنوابغ . وحينئذ يشرد مع الالفاظ ولايجد مانعا من أن يجعل لك النملة فيلا هندياً بنابين ! اوعلى ظهره هودج عظيم فيه مهراجا . . اسمه مهراجا عالى ديوان محرر . . .

نعم أن عيد ميلاد صاحب السمو الامير فاروق حرسه الله يوم من أكرم أيام التاريخ على التاريخ وفيه جمال الحاضر وأمل المستقبل وفيه أمة قائمة تنظر من وراء الغيب الى أمة آتية . ولكن جعل هذا العيد « أعز مواسم الدنيا عليها » أمر يخرج من المبالغة الى سوء الادب السياسى مع ملوك الارض العظام ويضيف الى ذلك فساد الذوق اذا ذكرت أعياد جلالة مولانا الملك . والشاعر اذا مدح الملوك وجب أن يكون له مع خيال الشاعر فى معانيه دقة السياسى فى ألفاظه وحكمة الحكيم فى أساليبه ومن أجل ذلك كان هذا النوع من المدح أصعب مافى الشعر بكل ضروبه وانواعه وكان الملك الذى يوفق الى شاعر حقيقى يجمع البلاغة والخيال والحكمه والسياسة والشهرة الطائرة والاعجاب العام — انما يوفق الى كنز عظيم بل الى تاج آخر أثمن من تاج الملك لان تاج الملك عمر محدود أما التاج الذى يصوغه هذا الشاعر فهو تاج التاريخ الذى لا عمر له . وكان اسم المتنبى مقرونا فى حياته باسم أميره سيف الدولة فلما صارا الى التاريخ انعكست الآية وعاد سيف الدولة يعيش باسم المتنبى . الامير جاد على الشاعر بالمال والنعمة وذهب كل ذلك وفنى ولكن الشاعر جاد على الامير بالتاريخ الباقى الذى لايذهب ولايفنى

ولما قتل ابن هانى شاعر المعز بافى القاهرة حزن المعز حزنا شديدا وقال: هذا الذى كنا نريد أن نفاخر به ملوك المشرق فلم يقدر لنا . فعلى هذه النية السامية النبيلة يتخذ الملوك شعراءهم و يحفلون بهم لا للشعر ولا للمدح ، كلا ، بل لانشاء النبوغ العالى فى أدب الامة ومباهاة الامم به وتزيين تاريخ الملك بمادته التى هى وحدها جواهر التاريخ وحلاه

وهل كان المعز معتوها يوم كافأ ابن هانى على اول قصيدة قدمها اليه بما قيمته من عملة مصرية سبعة آلاف وخمسمائة جنيه انجليزى ؟ انها نية التاريخ ونية الشعور السامى فى خدمة الامة بوضع وسام العقل النابغ على صدر تاريخها تباهى به الامم . اولا ترى الناس ينفقون مائة الف جنيه الى مئات فى انشاء معمل ؟ فاى معمل اعظم واشرف من عقل عظيم يبدع الادب العالى و يزيد به فى مجد الامة ويضع فيه أجمل قطعة من تاريخها

ومن صعوبة مدح الملوك كان شوقى وهو شاعر فحل ناضج يجعل نصف قصائده غزلا ونسيبا فيوفر نصف المشقة و مع هذا فانه كان لا يجيد من المدح إلا أبياتا معدودة لا تذكر مع المتنبى أو ابن هانى أو من فى طبقتهما . واذا كان هذا فى شوقى فكيف بالشعور عفيفى ؟

الحق أن الشعر العربى من هذه الناحية ينتظر نبيا جديدا من انبيائه فلينتظر . فلينتظر الى يوم القيامة . . . .

ومن أسخف وابرد مبالغات الشعور فى قصيدته قوله يمدح جلالة مولانا الملك ويذكر الطيران، طيران صدقى وحسنين بك وهو موضوع جميل حساس لاشتغال الامة به فى هذه الايام :

أمينك احمد حث المطايا على الافلاك واستاق الركابا
سما بحماك عن حمل الروايا وعاف العيس والخيل العرابا
وطار على المجرة مستشفاً ليكشف عن دخائلها النقابا

هذه ثلاثة أبيات وهى ثلاث فضائح تسقط الامة التى تقال فيها إسقاطا أدبيا اذا كانت هذه الامة ترى ان مثل هذا شعر او ادب . هل هناك مؤامرة ياترى على تشويه السمعة الادبية لمصر واضحاك ادباء العالم العربى منها بنشر مثل هذا الهذيان بحروف كبيرة مشكولة فى صدر جريدة الاهرام . انى اقول فى صراحة لجريدة الاهرام ان هذا عقوق منها بهذه الامة التى حاطتها ووثقت بها واقبلت عليها . ولكى ندرك فظاعة الابيات تصور انها ترجمت الى الانجليزية ونشرت فى انجلترا وامريكا وقرأتها

تلك الشعوب واطلع عليها الطيار العظيم لندبرج فكيف يكون تأثير هذه المعانى المصرية الخارجة باسم محرر الديوان الملكى ؟

احمد حسنين بك حث البهائم التى تركب ! ! ! وحثها على أفلاك السماوات ! ! ! وساق الركايب ! ! !

وفى حماك ياجلالة الملك ، سما وترفع عن حمل قرب الماء ! ! ! وكره الجمال والخيل الاصيلة ! !

وطار فوق المجرة باحثا ليكتشف اسرارها ودخائلها التى لم يكتشفها أحد ! ! !

ياناس اى هذيان هذا ؟ يالندبرج اعمل معروفا ولاتتهم الامة المصرية المسكينة فان الامة بأجمعها تبصق على صناعة هذا الشعر ولاتراه إلا جهلا محضا وسخافة دونها كل سخافة .

كيف يكون حسنين فى البيت الاول « حث المطايا » « واساق الركاب » وفى الثانى سما وترفع عنها ؟ ليس هناك الا تأويل واحد وهو تشبيه الطيارة بالمطايا ! ! ! بحمار أو بغل ! !

« وطار على المجرة » على المجرة . و « على » فى النحو تفيد الاستعلاء . يالطيف يالطيف . كأن المجرة عند الشيخ عفيفى هى الدور الخامس والسادس فى عمارة ! ! !

وطار عليها « ليكشف عن دخائلها النقاب » ! ! ! أنشر يارونر فى العالم حالا حالا ان مصر أرسلت مكتشفا إلى المجرة ليكشف أسرارها الازلية الابدية وان هذا المكتشف هو امين جلالة الملك .

أنا والله لا أتصور فى الفظاعة أفظع من هذا . ولو أن هذا الاحمق الشعرور كان يمدح رجلا عاديا بهذا الجهل لكان مسيئاً اليه أقبح اساءة فكيف ؟ فكيف ؟ ماذا نقول ؟

ان كرة أرضنا هذه بما عليها لو ألقيت فى الشمس لاحترقت وتلاشت فى ثانيتين على الاكثر (١) والمجرة سطح عظيم محيط بالسماء بالغ مالايتصور من الهول والعظم

---

(١) كان من شؤم قصيدة الشعرور على احمد بك حسنين وكان من عاقبة تجديفه فى هذا الشعر البارد بأن حسنين بك « طار على المجرة ليكشف النقاب عن دخائلها » ثم رعونته فى التسرع بمدح جلالة الملك بأمر سابق لأوانه وجعله ذلك فخراً مصرياً — كان من شؤم هذا كله أن سقطت طيارة حسنين بك مرتين

تسبح فيه الوف من مثل شمسنا . فكيف ياناس يطير عليها (يعنى فوقها) احمد حسنين ؟ ثم حسنين هذا لايطير فقط على المجرة للنزهة وشم الهواء ! ! بل ليكشف عن دخائلها النقاب . دخائلها وأسرارها وما فى باطنها ، وليرسمها فى (خارطة) ...

ألا يرى القراء أن الشعرور رجل الفاظ من رجال طوبه على طوبه لاغير ؟

وقبل هذه الابيات الباردة قال يصف الطيار صدقى وان لم يسمه وسمى حسنين بك مع أن الاول هو الأول وهو الفائز :

بحوك يمرح المصرى زهواً ويعلوا النسر فيه والعقابا

من فضلك يالندبرج لا تضحك علينا . فاننا جميعا نبصق على صناعة هذا الشعر باشمئزاز كما قلنا لك . هل من الفخر للامة المصرية فى هذا العصر الذى نظن فيه أن الطيارات ستكون سلاح الحروب المقبلة أن « يمرح طيارها فى الجو زهواً ! ! ! » . وهل من الفخر للطيار أن يعلو على النسر والعقاب . . . ؟ هل هي طيارة فى خيط ياشيخ عفيفى ؟ ألم يبلغك أن الطيارين ارتفعوا فى الجو لافوق النسر و العقاب والحدأة فقط بل فوق اربعين الف قدم ؟

ثم قال :

له من كوكبيك منار صدق يضيء له المحجة والصوابا

وفسر (كوكبيك) بقوله فى الشرح : الاميرتان فائزة وفائقة . ومع اجلالنا لهذين الاسمين الكريمين الغاليين على الأمة لم نفهم كيف أضاءا للطيار صدقى « المحجة والصوابا » . وقد سميت الطيارة بعد وصولها إلى مصر باسم الاميرة فائزة ومع ذلك لم يذكر اسم الاميرة فى القصيدة ولاوصف صاحبها تيمن الشعب باطلاق هذا الاسم الحلو الميمون على أول طيارة مصرية . بلغت مصر . وقال يصف صدقى

يداعب سامق الآفاق لهوا ويحمشها علوا وانصبابا

أصيب فيهما بجروح ولم ينج من الموت فى السقطة الثانية إلا بأعجوبة . وأخيراً أرسل تلغرافا إلى المقامات العالية فى مصر يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٣٠ يقول فيه : « تحطمت طيارتى سوء الحظ يلازمنى » وقصيدة الشعرور نشرت فى يوم ١١ فبراير فلا حسنين بك « طار على المجرة » ولا طار على الأرض . وهذا وحده يجعل قصيدة الشعرور فى غاية السقوط لو لم تكن ساقطة من نفسها فكيف وهى كلها عيب ؟

لا يزال الشيخ يظن الطيران « للداعبة واللهو » وما دامت قد ذكرت المداعبة فلا مانع من ذكر (الجش) وما هو الجش أو التجميش؟ هو مغازلة المرأة وملاعبتها وقرصها ... فى أماكن من جسمها . بل هذه المادة باعتبار أصل اشتقاقها فى منتهى الفظاعة وذكرها فى القصيدة غاية الغايات فى قلة الأدب وما على من شاء إلا أن يرجع الى قاموس الفيروزابادى فى مادة جمش فيجد هناك : ورجل جماش متعرض للنساء كأنه يطلب ...

فاذا قيل أن الجش فى بيت الشعرور هو « لسامق الآفاق » . قلنا أن المعنى الأصلى لا يزال باقياً حاضراً لذهن من يعرف المادة وأصل اشتقاقها ثم نقل الجش من المرأة للسماء صناعة لفظية فى غاية السخف ليس فيها إلا طوبة على طوبة وهو أسلوب هذا الشعرور

ومما مدح به جلالة مولانا الملك فى هذه القصيدة :

أمين الله اخملت الأوالى ... واخجلت المناهل والسحابا
إذا انتسبت غيوث الخير يوماً ... فمن كفيك تنسكب انسكابا
عددت مآثرا لك خالدات ... فلم أتمم وانفدت الحسابا

جلالة الملك أحق الناس بالمدح ومهما قيل فى مدح جلالته فهو قليل باعتبار الواجب له وفى يقيننا أن عرش مصر لم يتوله الى الآن مثله . ولكنا ننظر فى صناعة الابيات فنرى صاحبها مغرما بالتجنيس فيقول (أخملت واخجلت) وهذا لا بأس به ولكن فى رأيه جلالة الملك اخجل ماذا ؟ أخجل المناهل أى الأماكن التى يستقى منها الناس الماء واخجل السحاب ...

نفهم أن الشاعر العربى الذى ينشأ فى الرمل والقفر والجدب يجد المنهل أفضل ما يشبه به الكريم الذى يجود عليه ولكن الآن فى كل بيت فى مصر حتى بيوت الفقراء منهل من « الحنفيات » يصب الماء نهاراً وليلا فضلا من الله ورحمة وله الحمد والمنة

ثم المبالغة فى اخجال السحاب تدل على صناعة ركيكة جدا فهذا المعنى مفروغ منه قد تناوله كل شاعر والمبدع من يبدع فيه شيئاً جديدا لا من يأتى به على هذه الطريقة الصيانية الباردة . انظر كيف صنع البحترى فيه يمدح الفتح بن خاقان .

وأكبر أن أشبه جود فتح ... بصوب غمامة أو سيل وادى
كريم لا يزال له عطاء ... يغير سنة السنة الجماد

لم يقل البحترى «سحابا» كما صنع الشعرور فان من السحاب مالا يمطر ولا يعطى شيئا ومنه مايقذف الصواعق بل قال «صوب غمامة» ليكون الجود واقعاً ومع هذا الاحتراس الدقيق قال أنه يكبر الممدوح عن هذا التشبيه فشبهه وأكبره فى وقت معاً. ثم مع كل هذا أتم المعنى فى البيت الثانى وجعل الممدوح كأنه قانون طبيعى يهذب الطبيعة ويغير بعض قوانينها.

وفى موضع آخر من شعره يمدح بانه «مرجو لما ألغيث دونه» فلم يقل السحاب بل ألغيث وهو المطر نفسه ثم عبر هذا التعبير الجميل ليصنع شيئاً بيانيا فى المعنى الذى ابتذله الجميع.

ويقول فى مدح المهتدى.

غدا المهتدى بالله وألغيث ملحق بأخلاقه أو داخل فى عدادها

تبارك مانح هذا الذوق وميسر هذا البيان وكلمة «أو» فى هذا البيت هى وحدها شعر مطرب وانظر كيف صنع ابن هانى لممدوحه.

ليس الصباح به صباحا مسفرا وسقت شمائله السحاب سحابا

وقال السرى: له فى كل أنملة سحاب تسح وكل جارحة شهاب

واما «أخجلت المناهل والسحابا» فهذا كلام مخجل ساقط. ولو قال أخجلت بحيرة فكتوريا نيانزا وأخجلت النيل من منبعه الى مصبه لكانت لفظة (أخجلت) وحدها كافية لتهجين المعنى.

وقول السرى «له فى كل أنملة سحاب» هو الذى سرق منه الشعراء المتأخرون كابن معترق وغيره مبالغتهم السمجة فى جعل يدى الممدوح «عشرة مجر»... فيكون ابهام يده اليسرى أمريكا وخنصر اليمنى أوربا وحضرته المحيط الاطلانطيقى

وقول الشعرور: عددت ماثرا لك خالدات فلم أتم وأنفدت الحسابا

قول بارد أخف منه والله قشعريرة الحمى وأدفأ منه شهر طوبه وألطف جوا منه شهر أمشير!!! و«لم أتم» بالطيف، و«أنفدت الحساب» بابای. إذن ياسى شعرور حضرتك لاتعرف الحساب ولاتعرف أنه لاينتهى ولاينفد مطلقاً لانك إذا عددت إلى ديشليون أمكنك أن ترجع فتعد من واحد ديشليون إلى ديشليون ديشليون ثم تعود بعد ذلك فتعد على هذا التوالى. وعلى كل حال فانك ستموت وأنت تعد ولاينفد الحساب مهما بلغ عمرك

وجلالة الملك لايغضبه شىء كما تغضبه هذه المبالغة فى مدحه وعد مآثره الخالدة. والمخلصون

لجلالته لا يرون هذا الكلام الاسوء ادب قد بلغ الغاية ولا يليق مطلقا ان يخاطب به جلالته. والمؤمنون بالله يرون هذا القول ان لم يكن حراما فهو على الاقل مكروه كراهة تحريم لان الشعرور اخذ المعنى من القرآن الكريم واساء استعماله ووضعه موضع كذب صرف

يقول الله تعالى : « ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله »

لا تنفد الكتابة فلن ينفد الحساب لان الأمر أزلى أبدى . ومع ذلك قال الشعرور الغبى « أنفدت الحساب » وزادها سماجة فقال « لم أتمم » وبلغ منتهى الاساءة حين جعل هذا فى عده مآثر جلالة مولانا الملك .

أنا اعلن بكل صراحة وبالصراحة كلها أنه يجب إسكات هذا الشيخ عن المديح الملكى مادام موظفا فى الديوان العالى لان المفروض والمفهوم ان هذا الهراء كله سائغ عند رجال هذا الديوان وانهم يرونه أدبا وشعرا، ولو لم يكن ذلك لأنكروه على صاحبه واسكتوه عن التمادى فيه لأن اسكاته عن ذلك مما توجبه خدمة جلالة الملك ومما يوجبه حق الأمة على رجال الديوان ، وإلا يكن شعر ومدح فذلك أفضل الف مرة من أن يكون على هذه الصورة التى والتى والتى . . . .

كل بيت فى هذه القصيدة تهدمه نفخة والمدح الذى فيها سوقى بارد فى غاية السماجة كقوله لسمو الأمير .

هنيأ للعلى مغداك فيها وفتحك طرقها بابا فبابا

وان كانت طرق العلى فأن جعل الأمير « فاتح طرق » ذوق غريب . والطرق لا تفتح بابا فبابا الا اذا كانت مثل الطرق التى تنتهى ببوابة المتولى وباب زويلة وهكذا على أن المعنى من قول الشاعر المعروف بالغزى :

ألم تركم لأحمد من خلال فتحن الى طريق المجد بابا

وهذا هو الكلام المستقيم لأن الانسان لا يفتح الباب فيخرج منه الى الطريق أما انه يفتح الطريق باباً فهذا على وزن - يعنى البيت خراباً ...

ويقول لسمو الامير :

كسوت الدفتر المسطور فخرا وأعليت البراعة والكتابا

الذى (يكسو) الدفتر انما يغلفه كما يفعل التلاميذ فالكلمة هنا باردة جدا جدا وان كان غلاف الدفتر فخرا . ومانظن ان جلالة الملك يرضى ان يمدح سمو الامير بأنه بأشتغاله بالدرس أعلى شرف العلم وشرف الكتب ، ولنبين فظاعة هذا المعنى وانه

من المعانى السوقية التى يخاطب بها الامراء نقول هب اميرا من الامراء لم يدرس ولم يتعلم ، فهل يكون هذا الامير لم يشرف العلم ولم يعل قدر الكتاب ام ان العلم لم يشرفه والكتاب لم يعل قدره ؟

ويقول : لديك الدهر فانظمه عقودا مفصلة وطرزه ثيابا

وان كان التطريز فى الدهر فهو على كل حال « تطريز ثياب » عبارة سوقية سمجة ، وفى هذا البيت معنى لا تعرض له وعلى الذين يقرؤن أن يبحثوا

ويقول : سما بسناك « عبدين » المعلى وضاء مشارقا وعلا قبابا
أجل منابت الأقيال غرسا وامنعها حمى وأعز غابا
زكت نبعاته وزكا جناها وطابت فى ارومتها وطابا

وخلاصة هذه الأبيات بعد حذف الحشو قول ابى نواس :

صنائع فاق صانعها ففاقت وغرس طاب غارسه فطابا

وليت مهندساً من المهندسين يفهمنا كيف « علت قباب عابدين » ؟ نعم أنه بسنا الامير يضيء بل القطر كله يضيء بسنا الامير ولكن « علا قبابا » أمر يحتاج فهمه للجنة مهندسين !!! والمجاز فى المعانى المعقولة غيره فى الاجسام الجامدة المحسوسة المنظورة .

ويقول :

حلاك ابوك وضاح السجايا وثيق المجد كسبا وانتسابا

وضاح السجايا كلمة عامية لان معناها الظهور فهل كان يمكن فى سجايا الامير غير ذلك ؟ ولا ندرى كيف يمكن أن يفهم أن سمو الامير « جلاه والده العظيم وثيق المجد كسباً » ؟ الحقيقة ان هذا البيت تصرف ضعيف فى قول الغزى :

فتى ملك العلى أصلا وفرعا وأحرزها تراثا واكتسابا

وقال بعد ذلك البيت :

تضيء سماحة وتطيب نبلا فتخفى النجم !! والمسك الرضابا

ومع ركاكة هذا الكلام وأنه لا يجوز أن يقال لأمير عظيم « تطيب نبلا » لانه هو كذلك بالطبيعة ففيه غلطة لأن الشعور أراد ان يلف وينشر فجعل سمو الأمير باضاءته « سماحة » تخفى النجم وبتطيبه نبلا تخفي رائحة المسك ثم قال المسك الرضاب وهنا الغلطة لانه يقال رضاب المسك أى قطعه الصغيرة فرضاب لابد ان تكون مضافة للمسك والشيخ جعلها هنا صفة للمسك فصار هذا كقولك مثلا رأيت الشجرة الغصون

وانت تريد غصون الشجرة . ثم يقول بعد البيتين :

ومن يك ذا أب كأبيك يمدد الى العلياء اسبابا قرابا

اذن لم يمدح سمو الأمير بشيء لأن كل « من يكون ذا أب كأبيه فهو مثله » هذا هو معنى البيت ظاهر كل الظهور فهو بغير المدح أشبه .

اظن نفوس القراء قد انقلبت من « قرف » هذا الشعر فيجب علينا ان نروحهم بشعر كنسيم الجنة من قول البحترى فى ولى عهد المعتز بالله :

عليه من المعتز بالله بهجـــة أضاءت فلو يسرى بها الركب لاهتدى

اذا اعجبتك اليـــوم منه خليقة مـــذبة أعطاك أمثالها غدا

طلوب لأقصى الامر غاية جهده اذا قلت يوما قد تناهى تزيدا

بقيت ترجيـــه وعاش مؤملا يراعى اتصالا من حياتك سرمدا

أرأيت كيف يصور نمو الفضائل والخلائق يوما بعد يوم بنمو العمر، وكيف يدعو الشاعر للامير ولأبيه الخليفة ؟ فاقرأ الآن كيف دعا الشعرور فى ختام قصيدته :

أبا الفاروق عشت وعاش بدرا ينير لرأيك « السبل الصعابا » !!!

ولنسكت هنا فالسكوت عن شرح هذا البيت كما قيل فى المثل الذى حفظناه فى المدارس : الصمت زين والسكوت سلامة .

(حاشية) قيل لنا ان الشعرور ابن عفيفى يباهي بقصيدته الاخيرة ويزعم اننا سنعجز عن نقدها . مسكين الشيخ عبد الله عفيفى فليتفضل حضرته وليقرأ ليعلم أن قصيدته هذه أسخف من كل ماتقدم . ومسكين أيضا لأنه مظلوم يعرف أنه لايذكر ولايفلح وليس فيه موهبة من مواهب العبقريين ومع ذلك يدفعه (البعض) لعمل هذه القصائد ويغريه بالوعود . ومسكين مرة ثالثة لأنه لايعرف أن هذا (البعض) يقصد من وراء ذلك — كما يقال — ان يؤثر على منزلة أديب كبير راسخ فى عالم الأدب

ومسكين ابن عفيفى مرة رابعة لاننا عزمنا ان نجعله موضوع الجزء الثانى من السفود ونطبع عنه هذا الجزء تسجيلا لحماقته التي اندفع فيها جاعلا نفسه مظهر أدب رسمى بانتسابه للديوان العالى الملكى ونشره قصائده السخيفة بهذه الصفة فليتحفنا حضرته بقصيدتين أو ثلاث قصائد جديدة وله الشكر !